﴿فَرَجَعُوٓاْ إِلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ فَقَالُوٓاْ إِنَّكُمۡ أَنتُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ٦٤﴾ [الأنبياء: 64]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قَبْلَها:

اعـتـرافُ الكفّارِ بـظـلـمـهـم في عبادةِ أصنامِهم

لَمّا كان روحُ الكلام إقرارَه بالفعل، وجعلَهم ﷺ بوضع الهُزء؛ لأنَّهم عبدوا ما لا قدرةَ له على دفاعٍ أصلًا، وأُسقِطَ في أيديهم، فلم يك لهم بدٌّ من الوقوع في بُؤرة الخِزْي عن ذلك الحال قولُه تعالى: ﴿فَرَجَعُوٓاْ إِلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ﴾ رجوعَ المُقرِّ بجريمته المُتحقِّقِ من مَحْضِ باطله؛ فقالوا: إنَّكم أنتُم الظّالمون.

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿فَرَجَعُوٓاْ﴾: رجَعَ الشَّيءُ بنفسِه يَرْجِعُ رُجوعًا، ورجَعَهُ غيرُه: يَرْجَعُ رَجْعًا، وأرْجعَه غيرُه بالألف، والرُّجوعُ: العَوْدُ إلى ما كان منه البَدْء، أو تقديرُ البَدْءِ مكانًا كان، أو فعلًا، أو قولًا، وبذاته كان رجوعُه، أو بجزءٍ من أجزائه، أو بفعلٍ من أفعاله، فالرُّجوعُ: العَوْد، قال تعالى: ﴿يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعۡنَآ إِلَى ٱلۡمَدِينَةِ﴾ [المنافقون: 8]، والرَّجْعُ: الإعادةُ، والرَّجْعةُ، والرَّجعةُ في الطَّلاق، وفي العَوْدِ إلى الدُّنيا بعد الممات، قال تعالى: ﴿فَإِن رَّجَعَكَ ٱللَّهُ إِلَىٰ طَآئِفَةٖ مِّنۡهُمۡ﴾ [التَّوبة: 83]، وقال تعالى: ﴿إِلَى ٱللَّهِ مَرۡجِعُكُمۡ﴾ [المائدة: 48][1]، وقوله تعالى: ﴿فَرَجَعُوٓاْ إِلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ﴾، أي: رَجَع بعضُهم إلى بعضٍ رجوعَ المُنقطِع عن حُجَّته المُتَفطِّن لصحَّة حُجَّةِ خصمِه المراجعِ لعقله[2].

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

وجَـحـدُوا بها واسْـتـيـقـنَـتْـهـا أنفُسُهم ظُلْمًا وعُلُوًّا

يقول تعالى مُخْبِرًا عن قومِ إبراهيمَ حين قال لهم ما قال: ﴿فَرَجَعُوٓاْ إِلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ﴾ بالملامَةِ في عدمِ احْترازِهم وحراستهم لآلهتهم،

(1) الرّاغب، المفردات، وابن منظور، لسان العرب: (رجع).
(2) الشَّوكاني، فتح القدير: 3/ 566.

فقالوا: إنَّكم أنتُم الظّالمون في تركِكُم لها مُهلةً لا حافظَ لها[1]، أو أنَّ رجوعَهم كان رجوعَ المُنقَطِعِ عن حُجَّته المُتفَطِّن لصحَّة حُجَّة خَصْمِه المُراجِعِ لعقله، وذلك أنَّهم تنبَّهوا وفهموا عند هذه المقاولة بينَهم وبين إبراهيمَ ﷺ أنَّ مَنْ لا يقدِرُ على دفعِ المَضَرَّةِ عن نَفْسِه ولا على الإضرارِ بمَن فعل به ما فعلَه إبراهيمُ بتلك الأصنام، يستحيل أن يكون مُستحقًّا للعبادة، ولهذا اعترفوا بأنَّهم همُ الظّالمون[2]، ويمكن أن يكونَ كلا المعنَيَيْن داخلًا فيما عناه السّياق، والمشهدُ الَّذي دارتْ به أحداثُ القصَّة وما أوحَت به من معانٍ ومقاصد.

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغيُّ:

دلالةُ الفاء في افْتتاح الآية:

من شأن الدَّليلِ العليِّ أن تُذعن لـه العـقـولُ والقلوبُ

الفاءُ في قولِه تعالى: ﴿فَرَجَعُوٓاْ﴾ عاطفةٌ جملتَها على ما قبلها، وهي الفصيحة، أفصحت عن مُقدَّرٍ قبلَها، وأظهرت أنَّ في الكلام شيئًا محذوفًا، زاد في كمال حُسْنِها وفصاحتها في كونِها مبنيَّةً على التَّقدير، مُنبئةً عن المحذوف[3]؛ أيْ: لَمّا قال لهم إبراهيمُ: ﴿فَسْـَٔلُوهُمْ إِن كَانُواْ يَنطِقُونَ﴾، تفكَّروا فتحقَّقوا أنَّهم على الباطل، فلاموا أنفسهم واعترفوا بجهالتهم وعبادة ما لا يضرُّ ولا ينفع[4]، ويمكن أن تكون الفاءُ سببيَّةً؛ أيْ: لَمَّا عبدوا ما لا قُدرةَ له على دفاعٍ أصلًا تسبَّب عنه قوله تعالى: ﴿فَرَجَعُوٓاْ إِلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ﴾[5]، وكلا الوجهيْن يؤدّي إلى ذات المقصود، فكأنَّهما وجهان لمفادٍ واحد.

بلاغةُ الاستعارة في الفعل ﴿فَرَجَعُوٓاْ﴾:

إنما يُـرْجَـعُ إلى الحقّ عند ظهور أدلَّته

الرُّجوعُ الَّذي عبَّر عنه قوله تعالى: ﴿فَرَجَعُوٓاْ﴾ هو رجوعٌ إلى

(1) ابن كثير، مفاتيح الغيب: 3/ 174.
(2) الشَّوكاني، فتح القدير: 3/ 566.
(3) الأزهري، التَّصريح: 2/ 186.
(4) البقاعي، نظم الدُّرَر: 12/ 441.
(5) البقاعي، نظم الدُّرَر: 12/ 441.

أنفسِهم وهو مُستعارٌ لِشَغْل البالِ بشيءٍ عَقِبَ شَغْلِه بالغَيْر، كما يرجع المرءُ إلى بيته بعد خروجِه إلى مكانٍ غيرِه[1]، وتلك استعارةٌ تمثيليةٌ، وذلك يُفيد التَّحقُّق من هذا الرُّجوع بعد وضوح الأدلَّة.

معنَى ﴿إِلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ﴾ وفائدتُه:

الاستقامةُ بالرّجوع إلى الأنفُس جمعًا وفُرادَى

قوله تعالى: ﴿فَرَجَعُوٓاْ إِلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ﴾ يجوزُ أن يكون معناه: فرجعَ بعضُهم إلى بعض؛ أيْ: أقبلَ بعضُهم على خطاب بعضٍ، وأعرضوا عن مخاطبةِ إبراهيم؛ أيْ: فقال بعضُهم لبعض: إنَّكم أنتُمُ الظّالمون، ويجوز أن يكون معناه: فرجعَ كلُّ واحدٍ إلى نَفْسِه؛ أيْ: ترك التَّأمُّل في تُهمةِ إبراهيمَ، وتدبّرَ في دفاع إبراهيمَ، فلاحَ لكلٍّ منهم أنّ إبراهيمَ بريء؛ فقال بعضُهم لبعض: إنَّكم أنتُمُ الظّالمون[2]، والرُّجوع بتقييدِه بـ ﴿إِلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ﴾ في كلا الحالَيْن يفيدُ اسْتقامتَهم حين رجَعوا إلى أنفُسهم[3].؛ لأنَّ هذا القيد معناه أنهم فكَّرُوا في حالهم وحال إبراهيم، ووازنوا بينهما؛ بقرينة قولهم بعدُ: ﴿فَقَالُوٓاْ إِنَّكُمۡ أَنتُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾.

دلالةُ الفاء في ﴿فَقَالُوٓاْ﴾:

الاعترافُ بالحقِّ بعد ظهورِ الأدلَّة الدّامغة

الفاءُ في قوله: ﴿فَقَالُوٓاْ﴾ عاطفةٌ، تفيدُ التَّعقيب؛ أيْ: أعقبَ انْصياعَهم إلى الحقِّ بعد ما تبيَّن لهم قوَّةُ حُجَّةِ إبراهيم عليه السلام أن قالوا يخاطبُ بعضُهم بعضًا مؤكِّدين لأنَّ حالَهم يقتضي إنكارهم لظُلمهم: ﴿إِنَّكُمۡ أَنتُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾[4].

فائدةُ التَّوكيد في: ﴿إِنَّكُمۡ أَنتُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾:

من ضعفِ النَّفس أن تغفل عن باطلها، فتقرَّ بالحق

قوله تعالى: ﴿إِنَّكُمۡ أَنتُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ مفيدٌ للحَصْر والتعريف بـ(أل) يفيد التوكيد؛ أيْ: أنتُم ظالمونَ لا إبراهيم؛ لأنَّكم ألصقتُم

(1) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 17/ 103.
(2) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 17/ 103.
(3) الكشّاف، الزَّمخشري: 2/ 577.
(4) البقاعي، نظم الدُّرَر: 12/ 441.

التُّهمة بأنَّه ظلم أصنامنا مع أنَّ الظّاهرَ أن نسألَها عمَّن فعل بها ذلك، ويظهرُ أنَّ الفاعلَ هو كبيرُهم[1].

إيثارُ لفظ ﴿ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ مادَّةً وصيغة:

الظُّلم: تجاوزُ الحدّ، ومخالفةُ الحقّ في وضع الشَّيء في غير موضعه المختصِّ به، إمّا بنقصانٍ أو بزيادة[2]، وقومُ إبراهيمَ تجاوزوا حدَّهم في اتِّهامه ومسألتِهم إيّاه، وآلهتُهم حاضرةٌ لم يسألوها عمَّن فعل هذا بها[3]، وتجاوزوا حدَّهم بعبادتهمُ الأصنامَ الصَّغيرة مع وجود الصَّنم الكبير[4]، وتجاوزوا الحدَّ في عبادة مَنْ لا يتكلَّم، فكان مقتضَى ذلك أن يتصفوا بالظلم على جهة الاستمرارية؛ أيْ: أنتُم الظّالمون أنفُسَكم بعبادتِكم مَن لا يقدِرُ على الكلام[5]، وجاءت كلمةُ ﴿ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ لتدلَّ على اسْتيعابِ تلك الوجوه جميعها؛ بما فيها مِن (أل) الدّالَّة على معنى الكمال؛ أيْ: إنَّكم أنتم الكاملون في باب الظلم؛ وهم بذلك قد أقرّوا على أنفُسِهم بتمامِ كُفرهم وقَبول حُجَّةِ إبراهيم.

الكفرُ بالله وعبادةُ غيرِه أشدُّ الظُّلمِ وأقبحُه

❁ الفُروقُ المُعْجَميَّةُ:

الرُّجوع والعَوْد:

الرَّجوعُ فعلُ الشَّيء ثانيةً، ومصيرُه إلى حالٍ كان عليها، والعَوْدُ يُستعمَلُ في هذا المعنى على الحقيقة، ويُستعمَلُ في الابتداء مجازًا؛ يُقال: قد عادَ إليَّ من فلان مكروه، وإن لم يكن قد سبقَه مكروهٌ قبل ذلك، وتأويلُه أنَّه لحقني منه مكروه[6].

الرُّجوعُ العَوْدُ إلى ما كان، والعَوْدُ يكون كذلك، ويُستعمَلُ في الابتداء

(1) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 17/ 103.
(2) الرّاغب، المفردات: (ظلم).
(3) ابن جرير، جامع البيان: 17/ 41.
(4) ابن الجوزي، زاد المَسير: 5/ 364.
(5) أبو حيّان، البحر المحيط: 6/ 325.
(6) العسكري، الفروق اللُّغويَّة، ص: 250، والكفوي، الكلّيّات: 2/ 390.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الثالث والثلاثون،
سورة طه من الآية 132 إلى سورة الأنبياء الآية 88
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1446هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الثالث والثلاثون، سورة طه من الآية 132 إلى سورة الأنبياء الآية 88
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 33 ، 804 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-732-75-4
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 33 : المجلد الثالث والثلاثون، سورة طه من الآية 132 إلى سورة الأنبياء الآية 88.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-732-75-4
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-1130605 بتاريخ 2024/11/15م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»